

لبنانه الذي سيبقى

مصطفى فروخ

الذي رسم الطبيعة بلغة الشعر

فاروق يوسف
كاتب عراقي

لو أن تراث مصطفى فروخ يضيع فإن جزءاً من لبنان يضيع معه. هو ذلك الجزء الأكثر نقاءً وذكاءً وسعادة. في متحفه الذي أقامه ولده هاني في بيته بالمصطبة ببيروت جزء من ذلك التراث الذي لا يزال في لحظة إشراق خالدة. ترى لبنان في فن فروخ، غير أنه ليس لبنان الواقع، بالرغم من أن الفنان كان حريصاً على أن يرسم ما يراه بروح كلاسيكية. فروخ لم يخترع المشاهد التي رسمها، غير أنه رسمها بشعور من يرغب في أن تبقى خالدة إلى الأبد. الفنان الذي أبهرته كلاسيكيات روما، مر بباريس في لحظة حرجة، كانت الحركات الفنية الغرائبية سيدة المشهد الفني فيها وفي مقدمتها الدائرية والسريالية فتشعر بالضيق ولم يتمالك نفسه إلا حين احتضنت خطاه الكلاسيكيات الفنية العربية في الأندلس.

الرسم وسيلة للتنوير

رسم لبنان كما لم يره أحد. وقد تكون لوحاته خير دليل للتعريف بالروح اللبنانية الكامنة. فما رآه رسمه لكن بما تمكن من رؤيته كامناً في الأعماق. لذلك يصح القول إن ما رسمه كان لبنانه الشخصي. وهو لبنان الأعلى. كان فروخ مثالياً في تطلعه إلى رؤية لبنان النزيه، العادل والمتحرر من طوائفه وعاداته الأرضية. لذلك رسم القديسين مثلما رسم وجوه رجال الدين المسلمين ورسم الكنائس مثلما رسم المساجد وكانت رحلته من روما إلى الأندلس مروراً بباريس بمخاطبة صلاة بلغات عقائدية متعددة.

أهم أبناء ذلك الجيل. وإذا ما كان الثلاثة قد شغفوا برسم المناظر الطبيعية فإن فروخ كان أكثرهم تنوعاً على مستوى تمثل المشهد الطبيعي اللبناني بتنوع مفرداته الجمالية الساحرة. فهو لم يترك بلدة أو ضيعة إلا ورسمها، حتى ليظن المرء أنه قضى حياته حازماً

قضى حياته حازماً حقيقته الصغيرة وهو يتنقل بين مكان وآخر. رسم البحر والغابة والجبل والحقول والبيوت والفصول ناهيك عن أنه رسم عدداً من اللوحات داخل المحترف كانت موضوعاتها الوجوه الشخصية والعاريات. يمكنك أن ترى لبنان من خلال الإطلاع على لوحات فروخ بتسلسلها التاريخي ولكنه لبنان الذي رآه فروخ بعيني الشاعر الذي صب قوة خياله في يد الرسام. فروخ الذي كان رساماً تقليدياً تميزت لغته في الرسم بتحررها من لغة الوصف العادية بالرغم من أنه لم يكن انطباعياً كصاحبه عمر الإنسي. كانت رسومه تقول الواقع غير أنها ترتفع به لتضفي عليه نوعاً من الهالة التي تلحقه بالأشياء المقدسة.

يقيم بين السحب

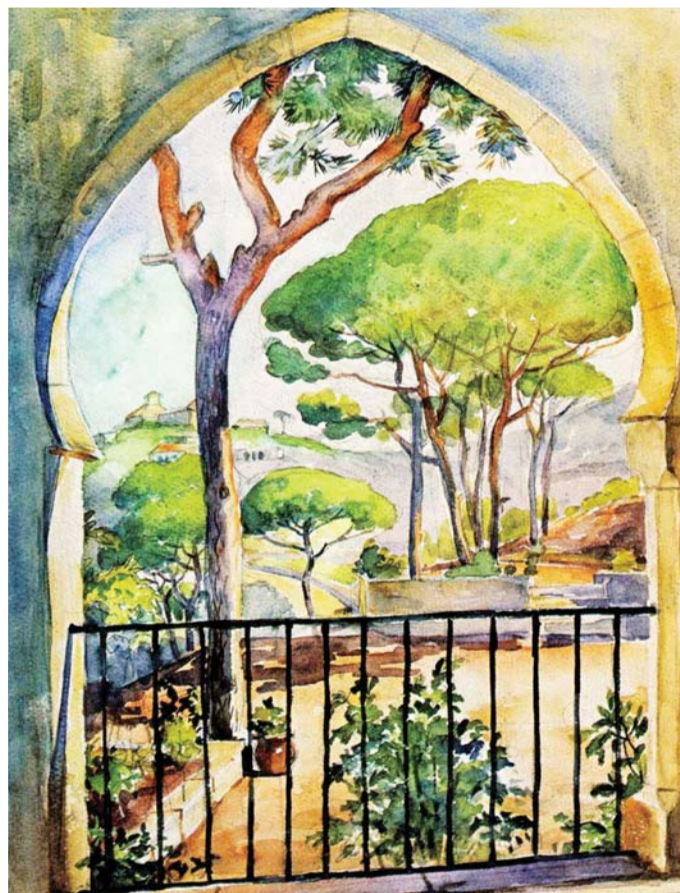
ولو أتاحت للشاعر سعيد عقل الفرصة لوصف ذلك الـ"لبنان" الذي رسمه فروخ، لقال عنه إنه لبنان العلوي الذي يقيم بين السحب. لقد أسس فروخ تقاليد رسم تيشتر بالحب قبل وبعد وقوعه. وهي تقاليد تعلم منها الرسامون اللبنانيون الشيء الكثير. وقد لا يكون مبالغاً حين أقول إنه ما من رسام عربي أحب بلاده من خلال الرسم مثل مصطفى فروخ.

كان مصطفى فروخ ضرورياً. لا لأنه رسام جيد فقط بل لأنه علمنا ما الرسم ولماذا يجب أن نخبئه؟ لقد اكتشف من خلال الرسم أسرار جمال المكان الذي نقيم فيه. تلك نعمة لا يصل إليها إلا القلة. غير أن هناك مفارقة تكمن في أنه حين ذهب إلى باريس وجدها كبيرة. هي أكبر من أن يقدر على استيعاب ما يجري فيها. لذلك قرر أن يتكفي بزيارة متاحفها وأدار ظهره لها. ذلك ما فعله تماماً رسام عراقي وصل إلى باريس بعد أن غادرها فروخ بعشر سنوات. هو فائق حسن. لم ير ذلك الرسام من باريس سوى "اللوفر" ولم ير من اللوفر سوى ديلاكروا.

أحب بلاده بشغف الرسم

بعد داود القرم وابنه جورج وحبيب سرور و خليل الصليبي الذين وقفوا في مقدمة المشهد التأسيسي للفن في لبنان ظهر الجيل الذي لعب دوراً عظيماً في التمهيد للحداثة الفنية وكان مصطفى فروخ وعمر الإنسي وقيصير الجميل من

الفرق بين فروخ وحسن أن الأول وضع ما تعلمه من تقاليد الرسم في خدمة هدفه الذي هو التنوير عن طريق الرسم أما الثاني فإنه كان معلماً جيداً للرسم غير أنه انهمك في رسم



فروخ يمكنه أن يحولنا جميعاً

إلى شعراء، حين نتخيل المشهد الطبيعي بالطريقة التي رسمه بها. وربما كان من حسن الحظ أنه لم ينصت إلى الضجيج السريالي في باريس. لو أنه فعل ذلك لحرم اللبنانيون من رؤية اللذائذ الخفية التي ينطوي عليها جمال بلادهم

لوحات حسب رغبة المقتنين الذين أقبلوا على شراء لوحاته. القوة التي تركها فروخ هي لوحاته التي لا تقدر الآن بثمن.

متحفه هو جزء من تلك الشروة. ولكن في حقيقة الأمر فإن لبنان كله هو متحفه. أينما تمضي يمكنك أن ترى بعيني فروخ مشهداً كان الرجل النقطه ووضعه على سطح لوحة.

يمكنه أن يحولنا إلى شعراء حين نتخيل المشهد الطبيعي بالطريقة التي رسمه من خلالها. ربما كان من حسن الحظ أنه لم ينصت إلى الضجيج السريالي في باريس. لو أنه فعل ذلك لحرم اللبنانيون من رؤية اللذائذ الخفية التي ينطوي عليها جمال بلادهم.

لقد أعاد إنتاج صورة بلاده من خلال الرسم. وهي الصورة التي ستظل خالدة. فالفن يقول الحقيقة حين يعلو بالواقع ويربطه بالخلود. مصطفى فروخ هو رسام لبنان الذي يبقى.

